على رمال الساحل

أيهـا الساحل يا أول أمـرى ... إعطنى الوحى الذى يشرح صدرى
هل لمن ربيتـه معنى جـديد ... لم يقـله الناس فى شعر ونثر
رائع من ثغـرك الرائـع مغر ... من محياك الذى يسبى ويغرى
ليت شعرى لم عقـلى فيك خابٍ ... أنت يا منبـع إلهـامى وشعرى ؟
أى روح قدسى ، أى معـنى ... عبقـرى ، أى خبء ، أى سر
حيثما أهتف تجبـنى هاتفـات ... عن يمينى أو شمالى أو بإثرى
فاذا وليت وجهى كى أراهـا ... هتفت خلفى وكان الأفق شـطرى
ليت لى عينين فى أذنىَّ حـتى ... أشهـد التهتـاف من ثغر لثغر
ما ترانى شـاهداً إذ ذاك عرسـا ... أم مشاراً عبقريا ؟ لست أدرى
لـكأنى بالرمال البيض شبِّعـ ... ـن بضـوء ثم روين بسحر
كلمـا البحر أتاهـا كاشـفاً عن ... ألف ليـل كشفت عن ألف فجر
سـطرتها الريح فى فن عجـاب ... فبـدت ثمـة سطراً خلف سطر
ضحـكات البحر موجـات حسان ... تزحم الأفـق وهذا ضحك بر
مثلما الخـلان قاما يذكران النـ ... ـادر المحـكى فى لهو وبشر
وكأن الرمل إذ مالت ذكـاء ... فضـة بيضاء قد شيبت بتـبر
ثم مـالت فهـو لألاء بهـىٌّ ... يا لعينى فى سـناه يالفـكرى
أى أيد قدسـيات قد أراقت ... ذوب شمس نضرة فى كل شبر

وحـدت فوق سماء الغرب مزنا منقـلات لا بمـاء بل بخمر
لامستها الريح فى رفق فرفت كرفيف الطـير لـكن أى طير
والصخور الصم تبـدو من بعيد فى طيوف من قنو الشمس حمر
هبطت فيهـا ذكاء فاقشـعرت عن ضياء قرمزى مقشـعر
فـكأن القلعـة الشماء جن ملهب يسبح فى جـدول جمر
شفة السـاحل لاحت دون عبر ولهـاة الأفق لاحت خلف عبر
والشراع انسـاب فى يم منـير كوكبـاً ينسـاب فى عرض المجر
خفقت أنفـاس ريح الشرق فيه فمضى يجرى إلى الغرب ويجرى
فتن المـاضى وما يأتى تلاقت حول خـدر الشمس من دهر ودهر
راقصـات دائرات مطرقـات شاخصات باسمات حيث تسرى
مسرح ألقى عليـه الليـل ستراً من ظلام ثم ثنـاه بسـتر

محمود ادريس قمر